آثار مدينة صور القديمة

ذهبتُ في الشتاء الماضي الى مدينة صور قاصداً تبديل الهواء ومشاهدة ما حوتهُ من الآثار

ومن المعلوم ان هذه المدينة لبثت بضعة قرون عاصمة مدن فينيقية فعلا صيتها وذاعت شهرتها في الخافقين واشتهر اهلها في التجارة والملاحة والصناعة ووجدت على احد نقودها كتابة فينيقية تفسيرها « صور ام الدنيا » وكان بينها وبين مصر علاقات كبيرة في التجارة والسياسة واشتهر من ملوكها حيرام الذي بنى فيها هيكلين احدهما لملكارت والآخر لعشتاروت . وكانت ابنية صور فخمة منتظمة على ما رواهُ استرابون المؤرخ الجغرافي اذ قال عنها في كتابهِ السادس عشر « ان منازلها كانت شاهقة وذات طبقات تفوق طبقات منازل رومية ارتفاعاً »

وجاء في التوراة ان الملك حيرام ارسل الى سليمان الحكيم البنائين والنجارين فبنوا لهُ هيكل اورشليم وقصر الملك . ولما تقدم اهلها بالملاحة والتجارة اخذوا يستعمرون شواطىء البحار حتى بلغوا افريقية واسسوا مدينة قرطاجنة وكانت لهم المراقيء بسفنهم في اكثر الشواطىء ولهذا سميت صور قديماً ملكة البحار

ولما قصد الاسكندر المقدوني الاستيلاء على هذه المدينة تعسر عليهِ فتحها لانها كانت مؤلفة من جزيرتين مفصولتين عن البر وكان الاسكندر خلواً من قوة بحرية فاضطر ان يمكث امامها زمناً طويلاً ريثما اتم ردم البحر بينها وبين البر ففتحها بعد عناء شديد وقيل انهُ باع من اهلها وعبيدها نحو ثلاثين الف نفس

جلتُ في انحاء صور من جانبيها فرأيت ان قسماً كبيراً من المدينة القديمة غمرتهُ مياه البحر فيرى من الشاطىء رأي العين وكثيراً ما تجد النوتية آثار اسواقها عند هياج البحر فتقذف الامواج الى البر رمالاً وحجارة ممزوجة بدقيق الذهب او الفضة او باوانٍ خزفية وزجاجية محطمة . وسمعتُ ان احد البحارة عثر قبيل ذهابي الى صور على كتلة من الفضة ولما فحصها وجدها نقوداً فضية قديمة مؤلفة من ستين قطعة فباعها من احد سكان صور وكنت اعرفهُ فذهبت اليهِ لاشاهدها فرأيت بينها نقود اسكندر بالا او بالاس ملك سوريا وكان ملكها سنة ١٥١ الى ١٤٧ قبل الميلاد وبينها مسكوكات بطليموس الثامن الذي كان مناصراً لاسكندر بالا . وفي اكثر تلك النقود

شارة مدينة صور دلالة على انها ضربت فيها . ثم عدتُ الى الجهة الشرقية من المدينة المعروفة بالمنارة فلم اجد فيها أثراً قديماً سوى بعض الاعمدة الصوانية الضخمة ملقاة على الرمل فقلت لعلّ ذلك اثر احد الهيكلين اللذين اشرت اليهما آنفاً وقد عفا اثرهما

ومن متنزهات مدينة صور وآثارها القديمة رأس العين الذي يبعد ثلاثة ارباع الساعة عن المدينة وهو آبار ارتوازية بنى لها الاقدمون خزّانات بحجارة متينة تتدفق منها المياه بغزارة وكانت قديماً تسقي اهل صور والاراضي التي حولها ولما كانت اقنيتها خربة انتدبت الحكومة السورية ابني جورج سركيس رئيس مهندسي الاشغال في

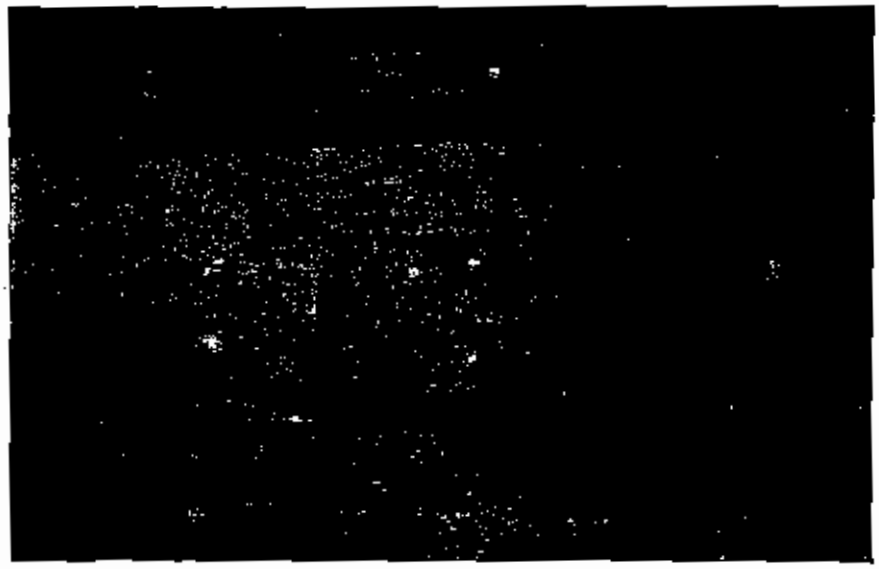

الناووس في الرصاص

بيروت فاصلح ما كان مخرباً فيها واوصل ماءها الى المدينة بانابيب من الحديد ولكن الى الآن لم يهتم اهلها بتوزيعها على البيوت فيذهب اكثرها ضياعاً وهذه العيون تكفي مدينة عظيمة آهلة بالسكان

واتصل بي وانا هنالك ان اهالي صور عثروا على تابوت قديم جميل جدًّا فركبت وقصدتُ قريةً صغيرة تسمى حنّوَيّ قيل لي ان التابوت مودع في احد منازلها وفيما انا سائر لمشاهدته رأيت في الطريق اثراً قديماً يشبه برجاً من خمسة أحجار او ستة ضخمة مرصوص بعضها فوق بعض يعرف عند سكان صور بقبر الملك حيرام وعلى مائتي متر من ذلك الاثر حفرة قيل لي ان التابوت وجد فيها فنزلت اليها ورأيت

كثيراً من القبور القديمة بعضها مفتوح وبعضها لا يزال مقفلاً وهي سراديب في جوانب الحفرة كان الاقدمون يضعون فيها توابيت موتاهم وقد نقشت على أبوابها اشارات تشبه بعض الرموز الماسونية . ورأيت في التراب المستخرج من الحفرة قطعاً زجاجية وخزفية. ثم استأنفت السير الى قرية حنوي حيث التابوت المشار اليه فرأيته في بيت من بيوتها وصورته بالفوتوغراف صورة صغيرة تشمله كله وصورة مكبرة نحو ثلثه لكي تظهر الرسوم والنقوش التي عليه جليّة وهو من الرصاص طوله نحو مترين و٤٠ سنتمتراً وعلوه نحو نصف متر وغطاؤه محدب ومختوم. وارجح انه

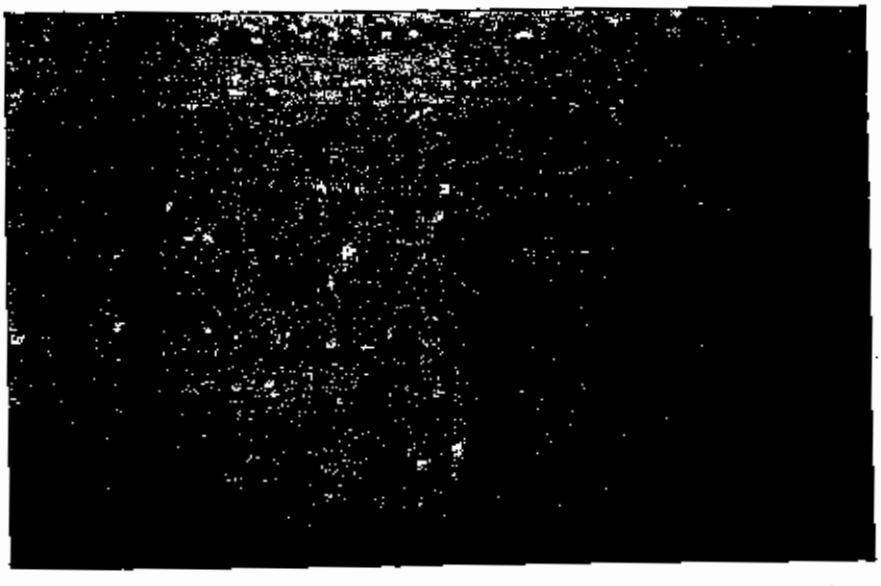

صورة مكبرة لنحو ثلث التابوت تظهر فيها الرسوم والنقوش التي عليه

من صنع الفينيقيين وقد قال البعض انه روماني. ولكن اكثر التوابيت التي وجدت في سواحل سورية ولاسيما في بيروت وضواحيها المصنوعة من الرصاص فينيقي بعضها منقوش وبعضها بغير نقش وقد تعذر عليّ ان اعرف ما وجده الحفارون في هذا التابوت حين اكتشافه فقال لي بعضهم انهم وجدوه مملوءاً بالتراب والعظام البالية وقد رأيت بين العظام التي كانت فيه اسنان رجل

وقد ذكرت احدى جرائد بيروت حديثاً ان الحكومة صادرت تابوتاً من الرصاص كان احد التجار ذاهباً به من صور فترجح لي انه التابوت الذي رأيته

يوسف اليان سركيس